ايضاح المقصود
من
وحدة الوجود

للعارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي

مع أبحاث عن :

الإرادة الجزئية - الاختيار - الكسب
وحدة الوجود - العلل والأسباب

للعارف بالله مصطفى كمال الشريف

عرض وتحقيق

عزة حصرية

مطبعة « العلم » دمشق

١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علّمه البيان ، والذي فتح اقفال القلوب بمفاتيح الغيوب حتى تسير الى ملك الملوك بمصابيح الهدى والعرفان ، والصلاة والسلام على النبي العربي اكمل كائن من دائرة الكمال استخزنه الله بحراً من فيض الاسرار والدر المختار بدون حسبان ، بعد ان استلّه من سلالة عدنان ، وعلى آله واصحابه والتابعين الذين افاض الله عليهم معارف الاسلام والايمان والاحسان .

باسمك اللهم نعتزم وببركتك نعتصم ، وبحولك وقوتك نستدفع الوهن ، سبحانك اللهم لانحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ، انت الله لا اله الا انت ملهم القول وولي التوفيق .

وبعد ، فقد تتابعت في الاسلام حوادث عظام ، خلال تلمس الحق بين مجاهل الكون وخوافيه ، وهي على عظمتها لم تستطع ان تقف في وجه مشرق نور الايمان ، فتساقطت ألويتها وتداعت ابنيتها .

ومن هذه الحوادث : « وحدة الوجود » او بالأحرى مسألة « الوجود والموجود » ، وقد تكلم عنها من خصوا بالنفحات الالهية القدسية ، موضحين في هدي القرآن الكريم وسنة نبيه الحبيب كل المشكلات بما بزيل الشكوك والاوهام ، فكانت المعركة مثار ترجيح بين نوعين من الادلة والبراهين ، منها ما اعتمد عليه المؤمنون ومنها ما استند عليه المنكرون ، فتهاوت الشبه تحت وطأة تلك الادلة والبراهين من نصوص الكتاب والسنة ، على وجه يُقْبَلُ بالفكر بل يُقْنِعُ بالبداهة ، فسارت « وحدة الوحدة » مع « العبدية » ـ في اصطلاح الشريعة ـ جنبا لجنب ، وهو ما اشار اليه العارف بالله الشبلي حين

قال : « مارأيت شيئاً الا ورأيت الله معه » ، ومما نادى به الامام الجنيد لما سمع الحديث الشريف : « كان الله ولم يكن معه شيء » حيث قال : « والآن ليس مع الله شيء » .

وقد انتشرت « وحدة الوجود » في العالم في اول القرن الثامن عشر للميلاد ، وادلى تولاند الانكليزي بدلوه مردداً : « إن الله روح العالم وقيومه » ومسمياً اصحابه بالموحدين للوجود ، وتبعه الفيلسوف سبينوزا الهولندي على المنهج نفسه ، ثم هيجل الالماني الذي اعلن : إن مذهبي في وحدة الوجود مشتق من مذهب التوحيد ، ومع كل ما فعله الفلاسفة وفكروا فيه لم يستطيعوا تحقيق بعض الهدف ، الا بعد ان استمدوا الاعانة على هذه الابانة مما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ونسبوه لانفسهم زوراً وبهتاناً .

واننا لنكتفي بهذا القدر الموجز متحاشين التطويل ، لننتقل الى بحثين ينقذان من زيغ النفس وفتنة الهوى وضلال السبيل ، واولهما: « ايضاح المقصود من وحدة الوجود » للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، وثانيهما : «الارادة الجزئية ـ الكسب ـ الاختيار ـ وحدة الوجود ـ العلل والاسباب » للعارف بالله تعالى مصطفى كمال الشريف ، وبين الرجلين مدة أربت على مئة واربعين سنة ، وهي كافية ليتكلم كل منهما بلغة عصره ، فالبحث الاول عويص الى حد ما ، بينما جاء البحث الثاني سهلاً ممتنعاً متفقاً مع حاجات زمان مؤلفه ، رغم ان كلا منهما استظل بتلك الظلة السابغة ، ظلة الاسلام ؛ الدين الراسخ والحكم النافذ واليقين المكين .

والله نرجو ان يوفقنا لسداد النظر ، اذ لا هداية إلا به ، ولا معول الا عليه ، انه سميع بصير مجيب .

عزة حصرية

ايضاح المقصود من :

وحدة الوجود

للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي(١)

---

(١) تطالع ترجمة المؤلف العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي في الصحيفة ٣٠ من هذه الرسالة .

الحمد لله الموصوف بوحدة الوجود على ما تعرفه اهل المعاينة والشهود لا على المعنى الفاسد الذي عند اهل الالحاد والزندقة ،واهل الانكار والجحود ، لان كل شيء من جهة نفسه معدوم مفقود ، وانما هو لوجود الله تعالى موجود ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله بانوار متابعته كل باب مسدود ، لمن حافظ على الاحكام الشرعية واقام الحدود .

اما بعد .. فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني بن اسماعيل بن النابلسي ، اخذ الله بيده وأمده بمدده ، هذه رسالةعملتها في تحقيق المعنى المراد عند اهل الله تعالى ، المحققين الامجاد ، باطلاق وحدة الوجود ، وقولهم :لا شيء مع الله تعالى موجود ، وبيان صحة هذه المقالة ، ونفي ما عداها من ضلالات اهل الغواية والجهالة ، والحكم على ما يخالف ذلك بالاستحالة ، وسميتها « ايضاح المقصود من معنى : وحدة الوجود » ومن الله استمداد الاعانة على هذه الابانة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

اعلم أن هذه المسألة ، وهي مسألة وحدة الوجود ، قد كثّر العلماء فيها الكلام قديما وحديثا ، وردها قوم قاصرون غافلون محجوبون ، وقبلها قوم آخرون عارفون محققون ، ومن ردها لعدم فهم معناها عند القائلين بها ، وتوهم منها المعنى الفاسد ، فلا التفات لرده كائنا

من كان لصده عن الحق ، وانما رده في الحقيقة لامر واقع على فهمه من المعنى الفاسد ، لا على هذه المسألة ، فهو الذي صور الضلال ورده ، واما القائلون بها فانهم العلماء المحققون والفضلاء العارفون اهل الكشف والبصيرة الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة ، كالشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي ، والشيخ شرف الدين بن الفارض ، والعفيف التلمساني ، والشيخ عبد الحق بن سبعين ، والشيخ عبد الكريم الجيلي وامثالهم ، قدس الله تعالى اسرارهم ، وضاعف انوارهم ، فانهم قائلون بوحدة الوجود ، هم واتباعهم الى يوم القيامة ، ان شاء الله تعالى ، وليس قولهم بذلك مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة ، وحاشاهم من المخالفة ، وانما المنكر عليهم وعلى امثالهم أنكر من قصور فهمه وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه ، فان علومهم مبنية على الكشف والعيان ، وعلومهم غير مستفادة من الخواطر الفكرية والاذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح ، وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب ، بدليل المقابلة والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح ، ونهاية علومهم الوصول الى شهود الحي القيوم ، ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب ، وجمع الحطام الذي لا يدوم ، فلا طريق الا طريق السادة الأئمة الهداة القادة ، ولا اعتقاد الا وحدة الوجود على المعنى الصحيح الموافق المشهود .

والواجب على كل مكلف ان يبحث عنه ، ويتحقق به على الوجه التام ، ويحفظ عليه ويترك ما عداه من اقوال علماء الكلام ، لانه القول الحق والاعتقاد الصدق ، والواجب ايضاً حمايته من طعن الطاعنين وذم الجاهلين له ، المتكلمين فيه من غير معرفة به الضالين المضلين .

واعلم ان ليس المراد بوحدة الوجود خلاف ما عليه أئمة الاسلام بل المراد في ذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام ، وما هو معلوم من الدين بالضرورة من غير انكار أصلاً من مؤمن ولا من كافر ، ولا يتصور فيه انكار عند العقلاء من الأنام .

ان جميع العوالم كلها على اختلاف اجناسها وانواعها واشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها ، محفوظة عليها الوجود في كل لمحة بوجود الله تعالى لا بنفسها ، واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لمحة ، هو وجود الله تعالى ، لا وجود آخر غير وجود الله تعالى .

فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الاصلي ، واما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجوده تعالى ، فوجود الله تعالى ووجودها الذي هي موجودة به وجود واحد ، وهو وجود الله تعالى

فقط ، وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلا ، وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذاتها وصورها ، بل المراد ما به ذواتها وصورها ثابتة في اعيانها ، وما ذلك الا وجود الله تعالى باجماع العلماء العقلاء منها ، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في انفسها ، مع قطع النظر عن ايجاد الله تعالى لها بوجودها سبحانه ، فلا وجود لاعيانها اصلاً .

واما القائلون من علماء الرسوم وعلماء الكلام بان الوجود اثنان: وجود قديم ووجود حادث ، فمرادهم بالوجود الحادث نفس اعيان الذوات والصور فقط ، ولهذا كان مذهب الاشعري رحمه الله تعالى بان وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زائد عليه ، كما تقرر في موضعه .

واما الوجود الذي به تلك الذوات والصور موجودة ، فلا شك بانه وجود الله تعالى عند جميع العقلاء بلا خلاف ، وكلام المحققين من اهل الله تعالى عن هذا الوجود لا عن الوجود الذي هو عين ذات الموجود ، فالخلاف في رد القول بوحدة الوجود وقبوله ، مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود ، فمن فسّره بعين ذات الوجود ، يرد القول بوحدة الوجود ، لاثباته وجوداً حادثاً ، هو عين ذات الموجود الحادث ، ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود محض خطأ ، لان هذا

الوجود الحادث الذي يزعم انه وجود ثان غير وجود الله تعالى ، قائم عنده بوجود الله تعالى ، فرجع الوجود كله الى وجود الله تعالى عنده ايضاً .

ومن فسَّر الوجود بها صار به بيان الوجود الموجود الحادث موجوداً ، فانه يقبل القول بوحدة الوجود ، ويعتقده حقاً ، وهو الصواب الذي ترجع اليه الاقوال جميعها ، لأن وجود الله تعالى الذي به كل موجود موجوداً باجماع العقلاء ، فالخلاف في ذلك لفظي راجع الى تفسير المراد من لفظ الوجود .

وكلام المحققين من أهل الله تعالى ، في مسألة الوجود من اعلا عليين ، وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين ، وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث اقرب الى التحقيق ، فانه لا غنى للموجود الممكن عن الوجود القديم أصلاً ، فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن ، وصورته غير الموجد القديم ، فهما اثنان والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد ، هو للقديم بالذات والحادث بالغير ، فالقديم موجود بوجود هو عين ذات القديم ، وليس الحادث هو عين ذات القديم ، ولا القديم هو عين ذات الحادث ، بل كل واحد منهما مباين للآخر في ذاته وصفاته وان اجتمعا في الظهور